تداولية الرابط الحجاجي في مقامات الحريري

the deliberation of el hijaji link in makamat el Hariri

طالبة دكتوراه/ حنان بوكرمة
الدكتورة: نسيمة علوي

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة (الجزائر)
مخبر التراث الأدبي الجزائري الرسمي والهامشي
جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة
hananeboukerma2020@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/09 تاريخ القبول: 2021/05/09 تاريخ النشر: 2021/09/15

الملخص:

تعد الروابط من الآليات الحجاجية اللّغوية الّتي يرتكز عليها التحليل التداولي للخطاب، وذلك للمكانة البالغة التي احتلتها في الدّرس التداولي بصورة عامة والحجاجي بصورة خاصّة، وسنركّز في هذا المقال على بعض استعمالاتها وتجلّياتها من خلال تقصّيها ومتابعتها تطبيقيا في مقامات الحريري لمعرفة مدى قوّتها الحجاجيّة ومن ثمّ مساهمتها في الرّبط والتقريب بين المعاني وتحقيق هدف التأثير والإقناع .

الكلمات المفتاحية: الرابط الحجاجي ، الحجاج ، الإقناع ، التأثير ، مقامات الحريري

Abstract:

The links are among the arguments and linguistic mechanisms on which the deliberative analysis of the discourse is based due to the extreme position they have occupied in the deliberative lesson in général and El Hijaji in particular, and we will focus in this article on some of their uses and manifestations through their investigation and follow-up in practice in the Makamat of El Hariri to know the extent of their pilgrimage strength and then their contribution Concerning the connection and rapprochement between meanings and achieving the goal of influence and persuasion.

Key words: Pilgrim Link, Pilgrims, Persuasion, Influence, Makamat of El Hariri.

1-مقدّمة

اهتم ديكرو بالروابط الحجاجية لما لها من دور بارز في الخطاب فهي تساعد على فهمه وتأويله، وقد أدّت أعماله إلى شيوع الرّوابط التداولية في علم الدّلالة ، وفي التّداولية أساسًا [1]

تعد الروابط الحجاجية من الآليات التداولية التي لاقت اهتماما بالغا لدى الدارسين والباحثين فهي البؤرة التي يرتكز عليها التحليل التداولي للخطاب وذلك لأهميتها البالغة ونحاول من خلال هذا العرض المبسط كشف الغطاء عن الظاهرة الحجاجية من أجل تطبيق المنهج اللساني التداولي على نص المقامات ، سنركز على العلاقة التخاطبية الحجاجية والروابط الحجاجية ووفق ذلك سنطرح الإشكالية الآتية:

- ما هو الرابط الحجاجي؟
- ما القيمة الحجاجية و الإقناعية التي يؤديها الرابط ؟
- كيف تم توظيف الرابط الحجاجي في مقامات الحريري ؟

تعتبر الروابط الحجاجية من الآليات اللّغوية التي تحمل قوة إقناعية دالة، حيث يلجأ إليها المتكلم قصد إقناع المخاطب والتأثير فيه، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ بنية اللّغة تتضمن قيمة أو وظيفة حجاجية وعليه فإنّ الرّوابط والعوامل الحجاجية هي المؤشر الأساسي والبارز ، وهي الدليل القاطع على أنّ الحجاج مؤشر له في بنية اللّغة نفسها . [2]

وينبغي التّمييز بين نوعين من المؤشرات الحجاجية: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية،فالروابط بين قولين ، أو بين حجتين أو أكثر، وتسند لكلّ قول دورًا محدّدًا ، منها : بل ، لكن، لاسيما ، إذن ، بما أنّ ، إذا .... وتنقسم إلى [3] :

أ- الروابط المدرجة لحجج مثل : حتى ، بل ، لكن ، مع ذلك ، لأنّ ..

ب- الروابط المدرجة للنتائج مثل : إذن ، لهذا ، وبالتالي ...

ج- روابط التعارض الحجاجي من قبيل : بل ، لكن ، مع ذلك ...

أمّا العوامل الحجاجية فهي لا تربط بين حجة ونتيجة ، أو بين مجموعة حجج بل تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية كقول ما ، من قبيل : ربما تقريبا، كاد ، قليلا ، كثيرًا ما ... وكل أدوات القصر . [4]

2- مفهوم الرابط الحجاجي: connecteur argumentatif

في معظم المعاجم العربية تدل معاني الجذر ربط حول عدة معان أساسية هي الشد ، والثبات

، و التوثيق ، العلاقة وتدور كلها حول معنيين أساسيين : الشد و الثبات [5] أما في الاصطلاح هناك من ذهب إلى أن " الرابط عند النحاة هو ما يربط أحد المتصاحبين بالآخر ، مثل الهاء في: عمر قام غلامه والفاء في: من أحسن فلنفسه ". [6]

وقد جاء في معجم المصطلحات الصرفية و النحوية : " أنه العلاقة التي تصل شيئين ببعضهما البعض ، وتعني كون اللاحق منهما متعلقا بسابقه " أما الرابط فهو مورفيم من صنف الروابط (حروف العطف والظروف) يربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر في إطار إستراتيجية حجاجية واحدة [7].

إنّ الجملة عند أنسكومبر وديكرو (أي المستوى الإعرابي و المعجمي) تتضمن وجهة حجاجية تُحدّد معناها قبل أيّ استعمال لها ، ولكن القول (أي اِستعمال الجملة في المقام) يفرض ضربا من النتائج دون غيرها وهذا يستلزم أنّ القول لا يصلح لأن يكون حجّة لهذه النتيجة أو تلك إلّا بموجب الوجهة الحجاجية المسجّلة فيه ومأتى هذه الوجهة الحجاجية هو المكوّنات اللّغوية المختلفة للجملة الّتي تحدّد معناها و تضيق أو توسّع من اِحتمالاتها الحجاجية وهذه المكونات اللغوية هي ما يعرف بـ: " الروابط والعوامل الحجاجية " التي تحدّد طرق الربط بين النتيجة وحُجّتها [8] وقد اهتمّ الباحثان ديكرو وأنسكومبر بهذه المكوّنات نظرًا لفائدتها في إحداث الإنسجام في الخطاب وقيادة المستمع إلى الإتجاه الذّي يرومه المتكلّم ، وتنقسم هذه المكوّنات إلى روابط وعوامل حجاجية تتمركز أساسا في أبنية اللّغة ، ولذلك فإنّها تمثل المؤشر الأساسي والدّليل القاطع على أنّ الحجاج له مؤشر في بنية اللّغة ذاتها كما تعدّ من المفاهيم الأساسية في التصور الحجاجي اللساني كونها أدوات تساعد على عقد العلاقات بين الحجج والنتائج في صورة تناسب سياق المتلقي ومحيطه ، وما يهمّنا في هذه الدراسة هو التأكيد على دراسة "الروابط الحجاجية" التي يتحدّد مفهومها بأنّها : مكونات لغوية تداولية تربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر ضمن اِستراتيجية حجاجية واحدة بحيث تسمح بالربط بين المتغيرات الحجاجية (بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة من الحجج وبين

هذه الروابط : الواو ، الفاء ، حتى ، بل ، لكن ، إذ ، لا سيما [9] ، وتؤدي هذه الروابط وظيفة جوهرية داخل الخطاب فهي تعمل على ربط وتنظيم بنية النص وتماسكه وانسجامه كي نصل في النهاية إلى وحدة كلية تفضي مقدماته أو حججه إلى نتائجه وبذلك تعدّ أهم العناصر الحجاجية في الحجاج من خلال جعلها للنص الحجاجي نصا مترابطا منسجما ، فوصل الحجج والنتائج بروابط لغوية يجعلها متعلقة ببعضها البعض ممّا يجعل من النص نصا متماسكا يؤدي دوره الإقناعي المنوط به وهو إقناع المتلقي.

كما أنّ الروابط تلعب دورا مهمًا في الإنسجام التّلفظي والتداولي كما تضطلع بدور اِستمرارية النص والحفاظ على إنسجامه وإسهامه في التّدرج ، والاتساق الشامل للخطاب ، وهذا من ناحية أخرى فإنّها تسمح بتدرّج وتسلسل القضايا ، فهي إذن تكتسي بُعدًا نَصِيًّا .

3- الفرق بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية :

تختلف العوامل الحجاجية عن الروابط الحجاجية الروابط تربط بين المتغيرات الحجاجية (أي بين الحجة و النتيجة، أو بين مجموعة من الحجج) أما العوامل فتقوم بتقييد الإمكانات الحجاجية بالقول وحصرها ومن أهم الأدوات التي تعد عوامل حجاجية : (ربما، تقريبا ،كاد ،قليلا، كثيرا ، لا ، إلا ، ما .... إلخ). [10]

يرى ديكرو أنّ الخطاب في أساسه : << بنية نصيّة وهنا يكون التّركيز على الجوانب اللّغوية فقط وذلك بالحديث عن الأدوات اللّغوية التي تلعب في النّص دورا حجاجيا وهي المفردات، الأفعال ، الظروف، الأسماء ... >>. [11] ويكون ذلك بالتركيز على الروابط الحجاجية مثلًا : لكن ، إذا ، سبب ، الفاء) من هنا يمكن دراسة أي نص دراسة حجاجية.

والرابط هو : << كل لفظ يمكّن من ربط قضيتين أو جملتين أو أكثر لتكوين قضايا أو جمل مركبّة >> .[12] وللروابط وظائف متعددة منها الوصل أو الفصل، التّتابع ، الشّرح والتّفسير ، ولكل رابط وظيفة أساسية في الخطاب.

ويتمّ الربط بين الحجة والنّتيجة بروابط حجاجية وهي تمثل شرطا أساسيا لتحقيق الحجاج فهي << تربط الصيغ الوصلية المقدمة بالنتيجة وتبني عناصر الحجاج ويتمثل الرسم القاعدي للحجاج

في ربط معطيات بنتيجة، قد يكون هذا الرابط ظاهرًا أو ضمنيًا (بما أنّ ونظر لـ) أو معكوسًا ردّ الحجّة أو الاستثناء >> .[13]

فمثلما يمكن للحجة أن تكون ظاهرة أو مضمنة حسب السّياق ، قد يكون الأمر نفسه بالنسبة إلى النتيجة والرابط الحجاجي.

وللكلام قوّة حجاجية مضاعفة من خلال طرق الاستعمال وأدوات الربط وآليات الاستقصاء.[14]

ويكمن دور الروابط الحجاجية واستثمار دلالاتها في ترتيب الحجج ونسجها في خطاب واحد متكامل، إذ تفصل مواضع الحجاج ، بل وتقوّي كل حجّة منها الحجّة الأخرى انطلاقا من أنّه عندما يكون تحت تصرّفنا عددًا من المعطيات فإننا نمتلك إمكانات هائلة لنتمكن من الربط بينها ... ويعد من بين هذه الروابط الخطاب ... >>.[15]

ولكي يتوصل المتكلم إلى هدفه الإقناعي من خلال خطابه ، فإنّه يستعين بروابط حجاجية في ترتيب حججه ، ولكن ينبغي عليه وضع كل رابط في مكانه المناسب من أجل بناء خطابه بناءً حجاجيًا.

وعند استعمال الروابط ينبغي أن يكون الاستعمال ملائمًا لدلالة القول وقصد المتكلم ، حتى تكون صياغة الكلام سليمة في مجملها لذلك : << فإنّ الربط بين القضايا إنما يتحدّد بنوع من تجانس تعلق الأحداث ممّا تشير إليه تلك القضايا>>.[16]

ويتمّ هذا التّجانس عن طريق ترتيب الجمل الفرعية والجمل الأصلية بحيث تترابط وتتعالق ، فتؤدي بذلك وظيفتها المنوطة بها .

4- تعريف المقامة لغة واصطلاحًا (الحريري أنموذجا):

المقامة فن من الفنون النثرية المتميّزة بمحتواها وإطارها اِستحدث في القرن الرابع الهجري على يد ابن دُرَيد ، ثم تأصّل على يد بديع الزمان الهمذاني وتلميذه أبي القاسم محمد الحريري الذي سوف نركّز عليه في بحثنا ، والحريري هو القاسم بن علي وُلِدَ في مشان بالقُرب من البصرة ولمّا ترعرع اِنصرف إلى البصرة يأخذ عن علمائها علوم اللّغة والأدب فبرع بهما وأصبح أحد الأعلام الّذين يؤخذ برأيهم فوضع << درّة الغوّاص في أوهام الخواص>> يبيّن فيها أوهام الكتاب وأخطاءهم ووضع أرجوزة في النّحو سمّاها << مُلْحةَ الإعراب في النّحو>> وإلى جانب هذين الكتابين توافر على وضع مقاماته .[17] وكان أوّل ما وضع الحريري من المقامات ، المقامة الحرامية وهي الثّامنة والأربعون

وأنهى مقاماته الخمسين (504هـ) ومحورها يدور على الاحتيال بالطرق المتنوّعة ، وقد اِنتشرت في زمنه وعُرفت بالكُدية أي الاستعطاء ، ونَرَاهُ قَدْ جَرَى فيها جَرْيًا حديثا بين ديني وخُلُقِي كما نلمسُ ذلك في المقامة القطيعيّة والنّحوية ضمّنها إلقاء أبي زيد على جلسائه مسائل ملغزة في النّحو ، وذهب أحيانا مذهبا مَجُونيًّا كما في المقامة الكرَجيّة ، وقد ضمّنها كافات الشّتاء وطلبه ثيابًا يكتسي بها ، وآخر مقاماته المقامة البصرية ضمّنها توبة أبي زيد ولُزُومه المسجد [18]

ولا ريب أنّ مقاماته تفوق مقامات البديع عند كثير من المحققين سواء في الشّعر أو في التّعمّق باللغة وأوضاعها ومعرفة حقيقتها ومجازها وما يتعلّق بها من النّحو وضروب الاشتقاق كما يؤخذ من المقابلة بين بديع الزّمان وبينهُ، على أن تكون العبارة قصيرة تتقطّع تقطيعا إيقاعيًا من حيث التناغم بين لفظة وأخرى ، وعلى الجملة فمقامات الحريري معجم حافل بكثير من المفردات.

4-1- المقامة لغة:

المجلس والسّادة ويقال للجماعة من النّاس يجتمعون في مجلس "مقامة" كذلك ومقامات النّاس مجالسهم .[19]

كما جاء في لسان العرب لابن منظور أنّ المقامة : << موضع القدمين والمقام والمقامة بالضّمّ : الإقامة والمقامُ بالفتح : المجلسُ والجماعة من النّاس >>. [20]

4-2- المقامة اِصطلاحًا :

هي في الأدب العربي قصّة قصيرة مسجوعة تتضمّن عضةً أو ملحمة ، أو نادرة كان الأدباء يتبارون في كتابتها إظهارًا لما يمتازون به من براعة لغوية أدبية وأصل معناها المجلس و " الجماعة من النّاس " [21] ، فالمقامة إذن تعني إيراد الحكاية لغرض من الأغراض ترويها الرواية على لسان بطل في قالب نثري يحفُلُ بالصّنعة اللّفظية والعناية بالأسجاع. فالمقامة هي قطعة من النثر الفني

على صورة حكاية قصيرة تنتهي في مغزاها إلى عبرة أو عضة أو طرفة يرويها شخص واحد خيالي لا يتغير ، هو عيسى بن هشام عند بديع الزمان الهمذاني وهو الحارث بن همام عند الحريري ، وبطل كلّ حكاية شخص آخر خيالي أيضا هو أبو الفتح الإسكندري في مقامات بديع الزمان وهو أبو زيد السروجي في مقامات الحريري ، وأبرز صفات البطل في مقامات هذين الأديبين هي : البلاغة والفصاحة وحلاوة النادرة وسرعة الخاطر، وسعة الحيلة والكدية ، أي الإلحاح في الإستجداء وسؤال النّاس [22].

نتوصل إلى القول بأنّ الغرض من المقامة لم يكن جمال القصص وإنّما أُريد بها قِطعة أدبية فنّية تجمع شوارد اللّغة و نَوادِرَ التّركيب بأسلوب مسجُوع ومُنمق.

5- وظيفة الرابط الحجاجي في مقامات الحريري:

يشكل خطاب المقامات مادة دسمة للدراسات التداولية لما فيه من قضايا لغوية وسياقية ، فهو يحمل الكثير من القيم الاجتماعية التي جعلته قريبا من واقع الحياة اليومية ، كما أنّه غني بجوانب مهمة من الدّرس التداولي ، ويزخر باللغة الحجاجية ، إذ نلمس في معظم عباراته بعدًا حجاجيًا يحاول من خلاله المتكلّم إقناع القارئ ، وبذلك فإنّ الآليات التّداولية تسمح بالولوج في مضامين النصوص التراثية لاستكناه خباياها ومعرفة أسرارها.

يحمل خطاب المقامات في طياته طابعا حجاجيا خالصا ، يريد من خلاله المتكلم التأثير في المخاطب ، وإقناعه ، وقد تعددت الروابط الحجاجية في نصوص المقامات .

إنّ الروابط الحجاجية التساوقية تربط بين حجتين أو أكثر بحيث يكون لها نفس التوجّه الحجاجي ويكون للحجّة الواقعة بعد الرابط الحجاجي درجة أعلى من تلك التي وقعت قبله ،.

5-1- روابط التساوق الحجاجي :

أ- الرابط (حتّى) : تعدُّ حتّى من أهم الروابط الحجاجية الّتي تربط بين الحجج ، أو بين الحجج والنتائج ، ومن نماذجها في مدوّنتنا : << **فَزَفَرَزَفْرَةَ القَيْظِ، وَكَادَ يَتمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ ، وَلَمْ يَزَلْ يُحَمْلِقُ إِلَيَّ ، حَتَّى خِفْتُ أَنْ يَسْطُو عَلَيَّ** >>. [23]

ينتمي هذا القول إلى مجموعة من الحجج الّتي تندرج تحت باب واحد ، لأنّها حجج لها نتيجة ضمنية من قُبَيْل: تأكيد شدّة غضب أبي زيد من الحارث ويمكننا تمثيل هذه الحجج كالآتي:

ح1: أطلق صوتا يعبّر عن غضبه.

ح2: تبدّل ملامحه من شدّة الغضب.
ح3: تعدّى غضبه إلى غيره عن طريق النظر.
ح4: خوف الطرف الآخر منه.
وقد جاء الرابط حتّى ليزيد في قوة الحجة الأخيرة التي أتت بعده ، والمتمثلة في خوف الطرف الآخر منه وهي الحجة الأقوى في هذه المجموعة ، فهذه الحجج جاءت متدرجة حسب القوّة و الضّعف ، ويمكن تمثيلها وفق السلم الحجاجي الآتي:

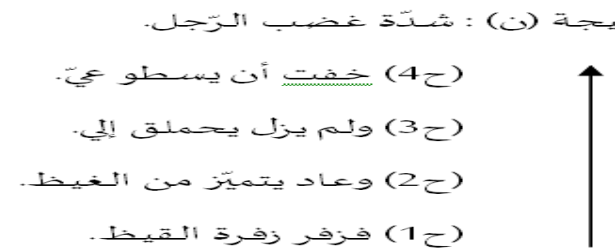

يظهر دورُ الرابط الحجاجي (حتّى) في قول الحارث بن همّام: << **فَوَافَقْتُ صَحْبًا قَدْ شَقَوْا عَصَا الشِّقَاقِ ، وارْتَضَعُوا أَفَاوِيقَ الوِفَاقِ، حَتَّى لَاحُوا كَأَسْنَانِ المُشْطِ فِي الاسْتِوَاءْ وَكَالنَّفْسِ الوَاحِدَةِ فِي الْتِئَامِ الأَهْوَاءِ، وكُنَّا مَعَ ذَلِكَ نَسِيرُ النَّجَاءِ، وَلَا نَرْحَلُ إِلَّا كُلَّ هَوْجَاءِ** >>. (24)
هذا الملفوظ يحتوي على مجموعة من الحجج التي لها التوجه الحجاجي نفسه ، فهي تخدم نتيجة واحدة مفادها : إتحاد أفراد الجماعة وتماسكهم وكل ما يفرّق شتاتهم . أما الحجج فهي :
ح 1: اِجتناب لمّ شمل الجماعة وما يفرّق بينهم.
ح 2: اتفاق الجماعة في كلّ أمر.
ح 3: أصبحوا من شدّة الاتفاق كأسنان المشط.
يبرز دور الرابط حتّى في قوّة الحجّة التي جاءت بعده ، فهي أقوى من سابقاتها ويمكن توضيح ذلك كالآتي:

النتيجة (ن) تماسك وتضامن الجماعة .

وفي قول الحارث " **فنظر إلي نظرة الخادع إلى المخدوع ، وضحك حتى تغرغرت مقلتاه**

بالدموع ".[25]

هنا نتلمس ربط الرابط حتى بين مجموعة من الحجج التي تخدم نتيجة ضمنية من قبيل خداع ونفاق أبي زيد له وسوف نعرض الحجج مرتبة حسب القوة و الضعف وفق النموذج الآتي :

ح 1=النظرة الخادعة

ح2=متمثلة في الضحك

ح3=غرغرة عيناه بالدموع

ونلاحظ أن الحجة الأخيرة هي الأكثر قوة وتخدم النتيجة المتفق عليها وهي الخداع لأنه لم يكتف بالضحك فحسب بل ضحك حتى تغرغرت عيناه بالدموع فتكون هذه الحجة هي أعلى درجات السلم الحجاجي فالسياق هنا هو الذي حدد القصد والقوة الحجاجية للملفوظ ، وقد تأتي حتى للتعليل مرادفة لكي ومن أمثلتنا على ذلك ما نجده في المدونة " **ونتحاذى في الفعال حذو النعال حتى تأن التغابن** ".[26] فقد ربطت حتى بين الحجج و النتيجة فقدم المتكلم الحجة "ونتحاذى في الفعال حذو النعال "باعتبارها الشرط الوحيد للوصول إلى النتيجة المقصودة

ب – **الرابط (بل)**: يستعمل هذا الرابط للحجاج والإبطال مثل : " لكن " وتكمن حجاجيته في أنّ " المرسل يتب به الحجج في السلم ، يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة ، لأنّ بعضها منفي وبعضها مثبت ." [27]

ويظهر الرابط الحجاجي للرابط بل : في قول الحارث : << **تأمّلته فإذا هو أبو زيد فَقُلْتُ لِصَحْبِي لِيَهْنَأَكُمْ الضَّيْفُ الوَرِادُ ، بل المغنمُ الباردُ** >>. [28]

ربط الرابط بل بين حجتين تخدمان نتيجة واحدة وهي حقّه ظلّ الضّيف أمّا الحجج فهي:

ح1: لِيَهنأكم الضّيْفُ الواردُ.

ح2: المَغْنَمُ الباردُ.

والملاحظ أن الحجة الثّانية أقوى من الحجة الأولى ، وبمكن توضيح ذلك في السلم الحجاجي الآتي:

النتيجة (ن) خفّة ظلّ الضّيف

ح2: المغنم الباردُ.

ح1: ليهنأكم الضّيف الواردُ.

كما يظهرُ دور الرابط الحجاجي "بل" في قول الشّيخ من الطويل:

وإِيَّاكَ وَ الشَّكْوَى فلم تر ذا نُهَى شَكَا . . . بَلْ أَخُو الجَهْلِ الّذِي ما ارعوى عوى.[29]

فهذا البيت يتكون من نتيجة ضمنية تتمثل في التحذير والشكوى وحجتين يربط بينهما الرابط بل وهما :

ح1: فلم تر ذا نُهى شكا.

ح2: أخو الجهل الذي ما ارعوى عوى.

فالحجة الأولى تخدم النتيجة المذكورة سابقا ، لأن أصحاب العقول يضرب بهم المثل في الأخلاق والمعاملة ، وكذلك الحجة الّتي جاءت بعد الرابط الحجاجي تخدم النتيجة نفسها ، وبذلك فإن الرابط بل ، ربط بين حجتين تكملان بعضهما ، والملاحظ أن الحجة الثانية أقوى من الأولى والسلم الحجاجي يوضح ذلك كالآتي :

النتيجة ن " إياك والشكوى "

ح (2) : أخو الجهل الذي ما ارعوى عوى

ح(1) فلم تر ذا نُهَى شَكَا.

والملاحظ أنّ الحجج المربوطة بالرابط بل يُشْتَرَط التّصريح بها ، فلا يُمكن إظهارها وإضمار بعضها الآخر.

ج- **الرابط** (لاسيما):

هو رابط مكوّن من لا النافية للجنس وسيما بمعنى مثل ويكون المذكور بعد هذا الرابط منها على أولويته في الحكم فيجمع هذا الرابط بين حجج تنتمي إلى سلم حجاجي واحد، وتكون الحجة الواقعة بعده أقوى في الدلالة من الحجج التي وقعت قبله ، وقد ورد هذا الرابط في " المقامة الفرضية" على لسان السروجي عندما أرَادَ أن يُقنع صاحب البيت عندهُ واستضافته " إنّي بدار غُرْبَةٍ ، وفي إيوائي أفضَلُ قُرْبَةٍ . لا سيَما وقد أغْدَفُ جُنْحُ الظّلام ، وسبّحَ الرَّعْدُ في الغَمَامِ ".[30]

نلاحظ أن هذا الرابط قد جمع بين حجّتين تنتمي إلى سلم حجاجي واحد وهي على النّحو التّالي ، الحجّة الأولى : أنّ السروجي غريب في أرض لا يعرف بها أحد ، والحجة الثانية التي وقعت بعد الرابط لاسيما فهي تشير إلى الوقت الذي يطلب منه مضيفه الرحيل المتمثل بحلول الليل ، والنتيجة النهائية لهذا الرابط التساوقي تهدف إلى التأثير على المضيف وتغيير رأيه .

ممّا سبق نرى أنّ الروابط الحجاجية التساوقية (حتى ، بل ،، لاسيما) تجمع بين حجج تنتمي إلى سلم حجاجي واحد فتكون الحجة الواقعة بعد هذه الروابط أقوى في الدلالة من الحجج الواقعة قبلها ، فتكون موجهة للخطاب ولها تأثير في نفس المتلقي .

5-1- روابط التعارض الحجاجي :

أ- الرابط (لكن) : تستعمل الأداة لكن للحجاج والإبطال ، فالتّلفظ بأقوال من نمط (" أ " ، لكن " ب") يستلزم أمرين هما : [31]

1- تشكل كل من "أ" و "ب" حجتين الأولى موجهة نحو النتيجة " ن " والثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها التي ترمز لها " ب " " لا – ن ".

ب- تعتبر الحجة الثانية أقوى من الأولى ، فهي التي توجه الخطاب برمّته .

وقد وضع ديكرو قاعدة لـ " لكن " مفادها : " إذا كانت " ق" تخدم النتيجة (ب) و (ك) تخدم النتيجة " لا – ب " فإن ق لكن ك تؤدي حتما إلى لا – ب حيث –" ق " و " ك " حجّتان فالاستدراك بـ " لكن " يوجّه دلالة القول إلى النتيجة المضادة.

ويظهر دور الرابط الحجاجي لكن في قول الحارث: << **وَأَفَقْتُ وَلَكِنْ حِينَ فَاتَ الوَقْتُ** >> [32] فهذا الملفوظ يتضمن عبارتين الأولى في قوله : وَأَفَقْتُ ، شكل حجة تخدم النتيجة (ب) المتمثلة في اكتشاف الحارث للمكيدة المدبرة له. أمَّا العبارة التي تثبت الرابط لكن و هي : "فَاتَ الوَقْتُ " فهي حجة أقوى من الحجّة الأولى وتخدم النتيجة المضادة " لا – ب " من قبيل : غفلة وتيه الحارث ووقوعه في شرك أبي زيد، فقد غيرت هذه الحجة وجهة الخطاب بأكمله إذ أن هناك تعارض بين الحجة التي سبقت الرابط لكن والحجة التي جاءت من بعده تماما وبذلك فإن القول سيتوجه نحو النتيجة لا – ن .

وقد تستعمل لكن للإبطال فتكون الحجة التي تليها لا تعارض سابقتها ومثال ذلك قول أبي زيد.[33]

" تعارجت لا رغبة في العرج ولكن لأقرع باب الفرج " .

يحتوي هذا البيت الشعري على حجتين يربط بينهما الرابط لكن يشكل الشطر الأول حجة مفادها عدم الرغبة في العرج أما الشطر الثاني فيضم حجة تبين سبب عرجه وعليه فإن الحجتين تخدمان نتيجة واحدة ونلاحظ أنه لا يوجد بين الحجتين تعارض حجاجي وبالتالي فلكن هنا إبطالية وهذه الأداة بنوعيها الحجاجية و الإبطالية تعبر دائما عن معنى التعارض والتنافي بين ما قبلها وما بعدها .[34]

ب- الرابط (مع ذلك):

هو رابط حجاجي تعارضي مكوّن من (مع الظرفية) التي تفيد معنى المصاحبة (إسم الإشارة (ذلك) المشير للحجة الواقعة بعده فتكون مضادة للحجة الواقعة قبله ، وقد ورد هذا الرابط الحجاجي في مقامات الحريري ، وكان فيه حجاجا تعارضيًا مثالنا على ذلك " المقامة السنجارية " أَحْجُبُ مَرْآها الشّمْسِ والقَمَرِ ، وأَذُودُ ذِكْرَاهَا رِيحٌ . أو يُكهَنُ بِهَا سَطِيحُ . أو ينمّ عليْهَا بَرْقٌ مُليح. فاتّفق لوشل الحَظّ المبخوس . ونكد الطّالع المنحوس ، أن أنْطَقَتْنِي بِوَصْفِهَا حُمَيَّا المُدامِ. عندَ الجَارِ النَّمّامِ "[35]

يلاحظ أنّ الرابط الحجاجي (مع ذلك) قد جمع بين حجّتين متعارضتين فالحجّة التي جاءت قَبْلَهُ أَحْجُبُ مَرْآها عن الشمس والقمر، وأذودُ ذِكْرَاها عن شرائع السّمر، تفضي إلى النّتيجة (ن) وهي حرص السروجي على الجارية فهو يسترها عن الشمس والقمر ويجاهد نفسه من أن يتحدّث عنها أمام الآخرين ، وأمّا الحجة الثانية التي جاءت بعد الرابط الحجاجي التعارضي أليحُ . مِنْ أن تسري بريّاها ريحُ ، أو يكهُن بما يستطيع ، فتوجّه الخطاب إلى النتيجة (لا – ن) المتضمنة في هذا القول ، فحرصه على الجارية تجاوز نفسه إلى الآخرين فهو يشفق عليها من أن تمر بها الريح أو يتكهن بوجودها أصحاب الكهانة حتى وقع المحظور فجاء إفشاء سره منه ، فنرى الحجة الواقعة التي وردت قبله لأنّها وجهت الخطاب إلى النتيجة المضادة .

ج- الرابط (بل) :

من الأمثلة اللّطيفة التي وردت على لسان السّروجي في استخدامه للرّابط الحجاجي التّعارضي (بل) ما جاء على لسانه في المقامة النّصيبية أثناء مرضه ، وكان الحارث وأصدقاء له في زيارة السّروجي ، فهمّوا بالقيام بعد أن إطمأنّوا عليه « فدعونا له بامتداد الأجل وارتداد الوجل . ثمّ تداعينا إلى القيام . لاتقاء الإبرام . فقال : كلّا بل اِلبثوا بياض يومكم عندي . لتشفو بالمَفَاكَهَةِ وَجْدِي . فَإنَّ مُنَاجَاتَكُمْ قُوتُ نَفْسِي . ومَغْنَاطِيسُ أَنْسِي »[36]

يلاحظ اِستخدام السّروجي للرابط الحجاجي التّعارضي بل ، لأنّ الحجّة الواقعة قبله المتمثّلة بقول الحارث : « فدعونا له بامتداد الأجل وارتداد الوجل . ثمّ تداعينا إلى القيام لاتّقاء الإبرام » والتي تفضي إلى النتيجة ن ، ومفادها حرصهم على أن يتركوا المريض كي يرتاح ولا يكونوا سببا في ازدياد مرضه ، أقل قوّة من الحجّة الواقعة بعده والتي تجّه القول إلى النّتيجة (لا – ن) والمتمثلة بقول السّروجي : « اِلبثوا بياض يومكم عندي . لتشفَوْ بالمَفَاكَهَةِ وَجْدِي» والتي أفضى إليها القول وهي نتيجة الكلام برمّته أنّ بقاءهم يساهم في راحة السّروجي النفسيّة وتحسّن حاله ، فتكون النّتيجة الّتي أفضى إليها القول (لا – ن) أقوى حجاجيا من النّتيجة التي أفضى إليها كلام الحارث الواقع قبل الرابط الحجاجي التّعارضي (بل) .

3-5- الروابط المدرجة للحجج:

أ- الرابط (لهذا) :

اِهتم الحريري بالروابط الحجاجية باختلاف وظائفها التي تُؤدّيها داخل الخِطاب وقد رأينا كيف وظف الروابط الحجاجية التساوقية والروابط الحجاجية التعارضية ونقف الآن على الروابط الحجاجية المدرجة للحُجج ونجد ذلك في المقامة العمانية إذْ يمضي السروجي برفقة الحارث وعدد من المسافرين في رحلة بحرية ، فلمّا أصبحوا في عَرْض البحر وعصفت الريح لم يستطيعوا مواصلة رحلتهم ، يقول الحارث :

" فَمُلْنَا لِهَذَا الحَدَثِ الثَّائِرِ إِلَى إِحْدَى الجزاَئِرِ ، لِنُرِيحَ ونَسْتَرِيحَ ، رَيْثمَا تُؤَاتي] الرّيحُ " [37]

من الملاحظ أنّ الرابط الحجاجي (لهذا) قد جمع ما بين فعلين قَامَ بهما المسافرون وأدى هذا الرابط إلى إدراج حجّة جديدة تخدم بنية المقامة ، كي يتنامى الحدث ويتطوّر وفْقَ مَا أَرادَهُ الحريري

، فبسب الرّيح والعاصفة نزلوا على إحدى الجزر فجمع هذا الرابط ما بين حدث السفر وعدم مواصلتهم ريثما تهدأ العاصفة ، فكانت الأحداث الواقعة بعد هذا الرابط تحولا في بنية المقامة ، لأنّها بنيت على الحدث الجديد الّذي ألجأهم إلى الجزيرة .

ونأخذ مثالًا آخر في المقامة الفرضية إذ بعد أن قدم السروجي ليلًا على الحارث يشكو البرد والمطر، فلمّا أدخله الحارث إلى بيته سأله عن حاله فوجد السروجي مبطنا في الإجابة فظنّ أنّه جائع يقول: " فظنَنْتُهُ مُسْتَبْطِنًا للشَّغَبِ، متكَاسِلًا لِهَذَا السّبَب، فأَحْضَرْتُهُ مَا يُحْضِرُ للضَّيف المُفاجِي ، في الليل الدّاجي " (38)

إذ جمع الرابط الحجاجي (لهذا) بين حجتين صدرا من الحارث ، وقد عمل هذا الرابط على إدراج حجة تخدم بنية المقامة كي يبدأ البطل في سرد حكايته عند مضيفة الأول.

ب - الرابط لأنّ : تعدّ " لأنّ " من ألفاظ التعليل الّتي يستعملها المرسل لتركيب خطابه الحجاجي وبناء حجته.

ومن أمثلتها في المدوّنة :

لَجَوْبُ البلاد معَ المُتْرَبَة . . . أحِبُّ إِلَيَّ مِن المَرْتَبَة

لِأَنَّ الوُلاة نَبْوَةٌ . . . وَمَغْتَبَةٌ يَا لَهَا مَعْتَبة. (39)

فقد ربطت " لأنّ " بين النتيجة والحجة وهما :

النتيجة (ب) : لَجَوْبُ البِلَادِ مَعَ المَتْرَبَة . . . أُحَبُّ إِلَيَّ مِنَ المَرْتَبة.

الحجة : لأنّ الولاة لَهُم نَبْوَةٌ . . . وَمَغْتَبَةٌ يَالَهَا مَعْتَبَة.

فَعِنْدَمَا أُعْجِبَ الوَالي بعلم أبي زيد طلب منه العمل معَهُ ، وهو غرض معز خاصة لأبي زيد المعروف بتجواله ومعاناته إلّا أن هذا الأخير رفض طلب الوالي ، فاحتار الحاضرون ، وطلبوا منه إقناعهم ، فأتى بهذه الحجة التي استطاع من خلالها بلوغ مراده .

6- الخاتمة :

في ختام هذا البحث توصّلت على مجموعة من النتائج وهي كالآتي :

-إن الروابط الحجاجية في مقامات الحريري لها موقع بارز في العملية الحجاجية فضلا عن أثرها في الترابط و الانسجام إذ تربط بين الحجج و النتائج مما يؤدي إلى إقناع المخاطب ، فلغة المقامة تقوم على الصنعة اللفظية للتأثير على المتلقي كما تقوم على الحجة لإقناع الشخصيات الفاعلة في السرد .

-شكلت الروابط الحجاجية موقعا بارزا في تركيب جمل المقامة فضلا عن أثرها في الاتساق و الانسجام الذي توفره مما يؤدي إلى تماسك الحجج و إقناع المخاطب بها .

- اِهتم الحريري في مقاماته ببنية اللّغة وما يكون لها من أثر في قوّة الخطاب ، بما تمتلكه من فاعليّة إنجازية تؤثر علىالمتلقي ، فوظّف الرّوابط الحجاجية المختلفة (روابط التساوق الحجاجي ، روابط التعارض الحجاجي ، الروابط المدرجة للحجج) وفق ما أراد وحسب ما جاء عند المحدثين في نظرية الحجاج .

- يحمل خطاب المقامات في طيّاته طابعًا حجاجيًا خالصًا يزيد من خلاله المتكلّم التأثير في المخاطب وإقناع ، وقد تعدّدت الآليات الحجاجية في نصوص مقامات الحريري (الرّوابط الحجاجية) .

تبقى مقامات الحريري عملا ادبيا تراثيا شاهدا على عصر من عصور تاريخنا العربي الزاهر ، إذ أنّ مقاماته مطاوعة لدراسات نقدية وبلاغية ولغوية أخرى ، لأنّها تشتمل على كم كبير من المعارف والشّواهد لمن أراد أن يدرسها .

7- هوامش البحث :

1 -آن روبول ، جاك موشلار ، التداولية اليوم ، علم جديد في التّواصل ، ترجمة سيف الدين دغفوس و محمد الشّيباني ، ، المنظمة العربية للترجمة ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 2003 ، ص 169 .

2- أبو بكر العزاوي اللغة و الحجاج ، العمدة في الطبع ، ط1، 2006، ص 55.

3 -أبو بكر العزاوي ، الحجاج والمعنى الحجاجي، مقال ضمن كتاب التحاجج ، طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، سلسلة ندوات ومناظرات ، رقم 134 ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، 2006 ، ص 65-66.

4 -المرجع نفسه ، ص 64.

5 -محمد سمير نجيب ، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، طبعة 1 ، 1985 ، ص 90.

6 -حسن سعيد الكرمي ، الهادي إلى لغة العرب ، دار لبنان للطباعة والنشر ، ط 1 ، 1991 ، ج 2 ، ص 121.

7 -محمد سمير نجيب ، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص 95.

8 - شكري المبخوت ، نظرية الحجاج في اللّغة ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، فريق البحث في البلاغة والحجاج ، إشراف : حمادي حمود ، كلية الآداب ، منوبة ، (د . ت) ، ص 375-376

9 -قدور عمران ، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 ، 2012 ، ص 33.

10 -أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، ص 25..

11 -يمينة ثابتي الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي ، مجلة الخطاب ، منشورات مخبر تحليل الخطاب ، جامعة تيزي وزو ، دار الأمل ، العدد الثاني ، ماي 2007 ، ص 286.

12 -آن روبول ، جاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص 265 .

13- وتيكي كاميلة ، كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ، بين سلطة الخطاب وقصدية الكتاب ، مقاربة تداولية ، دار قرطبة ، ط 1 ، 1425 ، 2004 ، ص 295.

14 -آن روبول ، جاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص 263.

15- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط 1 ، 2004 ، ص 472-473.

16- فان ديك ، النص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ترجمة عبد القادر قنيني إفريقيا الشرق المغرب ،د/ط 2000 ص 76.

17 - الحريري ، مقامات الحريري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 4 ، 2003 ، ص 5.

18 - المصدر نفسه ، ص 5-6.

19 - عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، ص 476.

20 - ابن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي ، ط 2 ، 1997 ، ج 11 ، ص 335.

21 - مجدي وهبة كامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب ، ط 2 ، لبنان ، ص 379.

[22] - عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، ص 476 – 478.

23- المصدر نفسه ، ص 22.

24 -المصدر نفسه ، ص 39-40.

25 -المصدر نفسه ، ص 55.

26 -المصدر نفسه ، ص 42.43.

27 -عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 514.

28 -الحريري، مقامات الحريري ، ص 49-50.

29 -المصدر نفسه ، 517.

30 - الحريري ، مقامات الحريري ، ص 119.

31 -أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، ص 58.

32 -الحريري ، مقامات الحريري ، ص 369.

33 -المصدر نفسه ، ص 38

34 -أبو بكر العزاوي اللغة والحجاج ، ص 67.

35 - الحريري ، مقامات الحريري ، ص 127 – 128.

36 - المصدر نفسه ، ص 146.

37 - المصدر نفسه ، ص 591.

38 - المصدر نفسه ، ص 113.

39 -المصدر نفسه ، ص 67.

- قائمة المصادروالمراجع

أولا: الكتب.

1- آن روبول ، جاك موشلار ، التداولية اليوم ، علم جديد في التّواصل ، ترجمة سيف الدين دغفوس و محمد الشّيباني ، ، المنظمة العربية للترجمة ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 2003.

2- أبو بكر العزاوي اللغة و الحجاج العمدة في الطبع ط1 2006 .

3- ابن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي ، ط 2 ، 1997 ، ج 11

4- الحريري ، مقامات الحريري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 4 ، 2003.

5- حسن سعيد الكرمي ، الهادي إلى لغة العرب ، دار لبنان للطباعة والنشر ، ط 1 ، 1991 ، ج 2.

6- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط 1 ، 2004.

7- عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، د.ط

8- فان ديك ، النص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ترجمة عبد القادر قنيني افريقيا الشرق المغرب دط 2000 .

9- قدور عمران ، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 ، 2012

10- مجدي وهبة كامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب ، ط 2 ، لبنان.

11- محمد سمير نجيب ، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، طبعة 1 ، 1985.

12- وتيكي كاميلة ، كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ، بين سلطة الخطاب وقصدية الكتاب ، مقاربة تداولية ، دار قرطبة ، ط 1 ، 1425 ، 2004.

ثانيا: المقالات.

1- يمينة ثابتي الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي ، مجلة الخطاب ، منشورات مخبر تحليل الخطاب ، جامعة تيزي وزو ، دار الأمل ، العدد الثاني ، ماي 2007.